شرح الأدب المفرد

للإمام محمد بن إسماعيل البخاري

الدرس ٥٢

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما اللّه تعالى

١٤٤١/٠٨/٢٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

١٧٨ – باب الطير في القفص

٣٨٣ – حدَّثنا عارم قال : حدَّثنا حمَّاد بن زيد ، عن هشام بن عروة قال : (كان ابن الزبير بمكة وأصحاب النبي ﷺ يحملون الطير في الأقفاص) .

الشرح :

قال المصنف – رحمه الله تعالى – : (**باب الطير في القفص**)

بهذه الترجمة ختم المصنف – رحمه الله – التراجم المتعلقة بالحيوان والرفق به ورحمته ، وعدم إيذائه أو الإضرار به، حيث ذكر في هذا الموضوع تراجم عدة – وقد مرَّت معنا في الدرس الماضي – ، ثم ختمها بهذه الترجمة : (**باب الطير في القفص**) منبِّهاً – رحمه الله – بذلك أن وضع الطير في القفص واقتناءه في البيت للاستمتاع بالنظر إليه ، والاستمتاع أيضاً بسماع صوته الجميل أمر لا بأس به ، وذلك إذا كان عن إكرامٍ للطير ، ورحمةٍ به وإحسانٍ إليه ، وإعطائه ما يحتاج من الطعام والشراب ، و وضعه في المكان المناسب الذي ليس فيه إيذاء للطير ، فإذا كان بهذه الصفة ، فإن وضع الطير في القفص لا يَحْرُم ، بل هو أمر مباح .

وقد مرّ معنا في التراجم الماضية قصة المرأة التي حبست الهرة ، حيث قال النبي ﷺ : ((لا هي أطعمتها ولا هي أطلقتها تأكل من خشاش الأرض)) أي حبستها لكنها لم تطعمها ولم تقدم لها ما تحتاج من الماء والطعام حتى ماتت ، **فدل هذا الحديث على** : أنها لو أطعمتها وقدّمت لها ما تحتاج إليه فإنه لا ضير عليها في ذلك ، **ففيه دلالة على** :

جواز اقتناء الطير أو الحيوان ووضعه في البيت مع إكرامه ورحمته وإطعامه والرفق به وعدم إيذائه ، وأن هذا الأمر مباح ، حيث جاءت الشريعة بإباحته وعدم تحريمه على أن يكون

أيضاً هذا الحيوان مما لا يُحرم اقتناؤه ؛ لأنه من الحيوانات ما يحرم اقتناءه ووضعه في البيت – كالكلب مثلاً

حيث قال ﷺ : ((من اقتنى كلباً إلا كلب ماشيةٍ أو صيدٍ نقص من أجره كل يوم قيراط)) فإذا كان الحيوان المقتَنَى ليس اقتناؤه محرماً ، وكان اقتناؤه عن رفق بالمقتَنَى ورحمةً به وتقديماً لما يحتاج إليه من الطعام والشراب ، فإنه لا بأس بذلك .

أورد المصنف – رحمه الله تعالى – عن هشام بن عروة قال : (**كان ابن الزبير بمكة وأصحاب النبي ﷺ يحملون الطير في الأقفاص**) .

(**يحملون الطير في الأقفاص**) أي : يقتنونها ويجعلونها في بيوتهم .

والطير عندما يوضع في القفص ويوضع في البيت و يُقصد من ذلك الاستمتاع بالنظر إليه ، والاستمتاع بسماع صوته فإن هذا لا شيء فيه .

وأيضاً لما يكون في ذلك من تفكر في مخلوقات الله سبحانه وتعالى وما هي عليه من جمال في المنظر وجمال في الصوت ، كل ذلك لا شيء فيه ولا يحرم على الإنسان بشرط أن يحسن إلى ما اقتناه من الطير أو الحيوان ، بتقديم ما يحتاج إليه من الطعام والشراب .

هذا الأثر فيه انقطاع ، لأن هشام لم يدرك جدَّه ابن الزبير ، فالسند فيه ضعف ، لكن الحُكم متقرر وثابت في الحديث الآتي عند المصنف ، وأيضاً يدل عليه قصة المرأة التي حبست الهرة .

٣٨٤ – حدَّثنا موسى قال : حدَّثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : دخل النبي ﷺ فرأى ابناً لأبي طلحة – يُقَال له : أبو عمير – ، وكان له نُغَيْر يلعبُ به ، فقال : ((يا أبا عُمَيْر ، ما فعل – أو أين – النُّغير ؟)) .

الشرح :

ثم أورد المصنف — رحمه الله – حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، والحديث سبق أن مرّ معنا في ترجمةٍ ماضية ، وسبق أيضاً الكلام على معاني هذا الحديث ودلالاته ، وما أشار إليه أهل العلم من الفوائد العظيمة والكثيرة التي اشتمل عليها هذا الحديث ، وأشرتُ إلى أن

بعض العلماء استنبط من هذا الحديث ما يقارب من الستين فائدة ، فهو حديث مليء بالفوائد .

وقد أعاد المصنف – رحمه الله تعالى – هذا الحديث هنا لأن فيه إثباتاً وتقريراً لجواز اقتناء الطير ووضعها في القفص مع إكرامها والإحسان إليها وأن هذا لا بأس به ، فلا بأس أن يقتني الإنسان الطير في بيته وأن يضعه في قفص بشرط أن يكرمه ويحسن إليه .

١٧٩ – باب يُنمي خيراً بين الناس

٣٨٥ – حدّثنا عبد الله بن صالح قال : حدّثني الليث قال : حدّثني يونس ، عن ابن شهاب قال : أخبرني حُمَيد بن عبد الرحمن ، أن أمَّه – أمّ كلثوم ابنة عُقبَةَ بن أبي مُعَيْط – أخبرته ، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ، فيقول خيراً ، أو يُنمِي خيراً)) ، قالت : ولم أسمعه يرخِّص في شيءٍ مما يقول الناس من الكذب إلا في ثلاث : الإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها .

الشرح :

ثم قال المصنف – رحمه الله تعالى – : (**باب ينمي خيراً بين الناس**)

(**ينمي خيراً**) أي : ينقل الكلام بين الناس على وجه الإصلاح وتأليف القلوب وإزالة الشحناء والبغضاء ، فهذا أمر يُحمَد عليه العبد ولا يُذم .

قال – رحمه الله – : (**باب يُنمي خيراً بين الناس**) هذه الترجمة عقدها لبيان فضيلة هذا العمل وأن مَنْ كان بهذه الصفة فهو محمود على هذا العمل لما أراده وقصده من الإصلاح بين الناس والتأليف بين القلوب (**ينمي خيراً**) والمعنى أنه إذا سمع خيراً نقله ، وإذا سمع خلاف ذلك سكت عنه تأليفاً للقلوب – وليلاحظ هذا – أنه إذا سمع خيراً نقله حتى لو كان الخير قليلاً ، ولا بأس في مثل هذا المقام أن يقول لأحد المتخاصمين عن خصمه – أو مَنْ بينه وبينه خصومة – يقول له : " سمعته يذكرك بخير" ، " سمعته يثني عليك " ، " سمعته يذكر عنك كلاماً طيباً " ، وإذا كان قد سمعه يقول فيه ذمّاً فلا ينقل الذَّمَّ إليه ؛ لأن نقل

الـذم إليـه لا يفيـد إلا زيادة الخصـومة وزيادة البغضـاء والشـحناء ، وهـذا أمـر لا يُطلـب ، فالمطلوب هو التأليف بين القلوب والإصلاح بين الناس ، فالذي (**ينمي خيراً بين الناس**) هو الذي إذا سمع خيراً نقله ولو قلّ ، وإذا سمع خلاف ذلك سكت عنه لأنه ليس هناك مصلحة من نقل كلام المتخاصمين في بعضهم البعض – بسبب ما في قلوبهم من شحناء – ليس هناك مصلحة في نقل كلامهم وإيصال كلام أحدهم للآخر ، بل المصلحة في السكوت عن ذلك وعدم نقله ، ولهذا قال : (**ينمي خيراً**) أي : ينقل الكلام الذي في نقله خير ، ويؤدي إلى الألفة والمحبة والتَّصافي والتواد ... ونحو ذلك ، أما إذا كان نقله للكلام يؤدي إلى مزيد البغض ومزيد الشحناء فليس من الخير نقله بل الذي ينبغي السكوت عنه ، فإذن هذه الترجمة عقدها المصنف – رحمه الله – ليبين ذلك .

أورد المصنف – رحمه الله – هنا حديث **أم كلثوم ابنة عقبة بن أبي معيط ، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول** : ((**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ، فيقول خيراً ، أو يُنمِي خيراً**)) أي : مَنْ كانت هِمَّته منصرفة إلى الإصلاح بين الناس واجتماع القلوب ، وكان يحبُّ ذلك ، ويسعى في تحقيقه ، فإنه ليس كذاباً ، ولا سيما إذا أخذ ينقل كلام المتخاصمين على وجه الإصلاح بينهم.

ولو بالغ في ذلك –كما قدمت سابقاً – ، فيقول له : " سمعته يثني عليك " ، " سمعته يذكرك بخير " ، حتى ولو كان سمع من ذلك طرفاً يسيراً أو شيئاً قليلاً .
وكنت قد أشرت مرة إلى أن كلمة (الثناء) تأتي في المدح والذّم ، فيُقال : أثنى عليه ، سواء أثنى عليه بخير ، أو أثنى عليه بشر ، فالثناء : هو ذكر الإنسان – سواء ذكر بشر أو ذكر بخير – فلو أنه إذا استعمل هذه الكلمة: " سمعته يثني عليك " ، وهو يقصد سمعته يذكرك في مجلسه ، حتى لو لم يذكره بخير ، من أجل أن تتصافى القلوب ويزول عنها الشحناء والبغضاء ، فليس من كان كذلك كذاباً ، لأنه ينمي خيراً – أي ينقل خيراً – ويسعى للإصلاح بين الناس ، فمن كان كذلك فهو ليس كذاباً بل هو مصلح ، والله تبارك وتعالى يعلم المصلح من المفسد .

قال ﷺ : ((**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ، فيقول خيراً ، أو يُنمِي خيراً**)) ، **قالت** : (**ولم أسمعه يرخِّص في شيءٍ مما يقول الناس من الكذب إلا في ثلاث**) كونه ﷺ لم يُسمع أنه يُرَخِّص في شيء من الكذب، **هذا فيه دلالة على**: عدم جوازه مالم يرخِّص فيه النبي ﷺ ، ومارخَّص فيه من ذلك يستثنى .

قالت : (**إلا في ثلاث** : **الإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها**)

(**الإصلاح بين الناس**) **و هذا فيه** : ما يتعلق بما سبق ، ليس الكذاب الذي ينمي خيراً أي يقول خيراً ، أو يصلح بين الناس ، فهذا ليس كذاباً لأن نقله للكلام وزيادته فيه ، ومبالغته فيه ، كل ذلك على وجه الإصلاح بين الناس فمن كان كذلك ليس كذاباً .

قالت : (**وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها**) وذلك بأن يحدثها فيما يتعلق بالعشرة بينهما ، والألفة والتحاب ، فلو لم يكن لها في قلبه محبة شديدة ، وقال لها – من أجل التأليف وحسن المعاشرة وصلاح الأمر وصلاح البيت – قال : " إني أحبك حباً عظيماً " ، أو قال " لك في قلبي محبة عظيمة " ، فهذا ليس كذباً , بل يستثنى .

ومثله حديث المرأة مع زوجها , ومثل هذه الكلمات بين الزوجين تزيد من الصلات بخلاف ما إذا نقل أحد الزوجين للآخر المشاعر على عِلَّاتها ، فربما تفسد العلاقة .

فمن كان كذلك مع أهله – وكذلك المرأة مع زوجها — فإنه لا يكون قوله كذباً ، سواء قيل أن الأمر على ظاهره – وهو قول لبعض أهل العلم – : بمعنى أنه يسوغ له أن يكذب حقيقة لا تعريضاً ، فبعض العلماء يقولون : المراد بالحديث أنه يسوغ للزوج أن يكذب حقيقة ، مثل لو لم يكن في قلبه لها محبة ، وقال : أحبك حباً عظيماً – فيكذب حقيقة – فمثل ذلك سائغ .

وبعض العلماء يحملون الحديث على التعريض دون الكذب الصريح ، وعلى كل حال إذا كان المقصود في ذلك صلاح بيت الزوجية , ودوام الألفة ، وبقاء المودة , واستمرار البيت , فإن أفادت المعاريض اكتُفِيَ بها ، وإن احتاج إلى شيء من الكذب لأجل الإصلاح ودوام الألفة فلا بأس بذلك ، لحديث النبي ﷺ .

١٨٠ – باب لا يَصْلُحُ الكذب

٣٨٦ – حدَّثنا مسدَّد قال : حدَّثنا عبد الله بن داود ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، عن النبي ﷺ قال : ((عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا)) .

الشرح :

ثم قال المصنف – رحمه الله تعالى – : (**باب لا يَصْلُحُ الكذب**)

فعقد هذه الترجمة محذِّراً من الكذب ، ومبيِّناً خطورته وسوء عاقبته على الكذَّاب في الدنيا والآخرة ، وأن الكذب لا يصلح للعبد المؤمن ، ولا يصلح به حال العبد المؤمن ، وإذا كان الإنسان كذاباً فإنه لا ينال من كذبه إلا العواقب السيئة والوخيمة في دنياه وأخراه , ولهذا عقد المصنف – رحمه الله تعالى – هذه الترجمة محذِّراً من الكذب.

وأورد حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : ((**عليكم بالصدق**)) أي : الزموه ، وحافظوا عليه , وكونوا من أهله , ودرِّبوا أنفسكم وعوِّدوها عليه .

قال : ((**عليكم بالصدق**)) أي : محافظة وتعويداً للنفس ، وملازمة للصدق في أحاديث الإنسان وأقاويله .

ثم ذكر ثمرته ، فقال : ((**فإن الصدق يهدي إلى البر**)) ، **ما معنى ذلك ؟**

كنا قد عرفنا فيما سبق أن البر كلمة من جوامع الكلم ، بل إن البر يشمل الدين كله أصوله وفروعه ، فهي كلمة جامعة تجمع الدين كله ، كما يدل على ذلك آية البر في سورة البقرة ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة / ١٧٧] .

فالبر : هو الدين كله , عقائده وأعماله , أصوله وفروعه ، وهنا يقول النبي ﷺ : ((**فإن الصدق يهدي إلى البر**)) معنى ذلك : أن صدق الإنسان وسلامة لسانه من الكذب يهديه إلى صلاحٍ عام , فإذا كان بعيداً عن الكذب ، محافظاً على الصدق , فإنّ الصدق يهديه إلى صلاح عام , وهذا أيضاً **يدل دلالة واضحة على** :

خطورة اللّسان , وأن اللسان إذا استقام استقامت الجوارح, وإذا فسد . ومن أعظم ما يفسد به اللسان: الكذب . فسدت الجوارح, ومما يشهد لذلك قول النبي ﷺ : ((إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفِّر اللسان تقول : اتق الله فينا ، فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا)) .

فاللسان إذا استقام بالصدق استقامت الجوارح ، وهذا هو معنى قول النبي ﷺ : ((**فإن الصدق يهدي إلى البر**)) فإذا صدق لسان الإنسان وخَلُصَ من الكذب فإن هذا يفضي إلى صلاحٍ عام بإذن الله تبارك وتعالى , بينما إذا وقع الإنسان في الكذب وتلوَّث به , وأخذ يتحرى الكذب, فالكذب يهدي إلى الفجور والعياذ بالله.

قال : ((**عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة**)) , كما قال الله تبارك وتعالى في سورة الانفطار : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ [الانفطار / ١٧] .

وهنا يقول ﷺ : ((**وإن البر يهدي إلى الجنة**))، فالبر يهدي إلى النعيم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ , أي أنه يهدي إلى النعيم في الدنيا , وإلى النعيم في البرزخ , وإلى النعيم يوم القيامة , كما قال أهل العلم في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ أن النعيم على إطلاقه , فهو ليس خاصاً بالآخرة , بل هم في نعيم في الدنيا , ونعيم في البرزخ , ونعيم يوم القيامة , وهنا قال ﷺ : ((**وإن البر يهدي إلى الجنة**)) .

البر : هو صلاح الإنسان , و استقامة حاله عقيدةً وعملاً ، فمن كان كذلك هداه ذلك – بإذن الله تبارك وتعالى– إلى جنات النعيم , قال تعالى : ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿طبتم فادخلوها خالدين ﴾ .

قال ﷺ : ((**وإن الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقاً**)) , وجاء في بعض روايات الحديث : ((وإن الرجل يصدق ويتحرَّى الصدق – والرواية في صحيح مسلم – حتى يكتب عند الله صدِّيقاً)) .

وهنا يرشد النبي ﷺ إلى الطريقة العملية التي ينبغي على العبد أن يلزمها في حياته , حتى يكتب صدِّيقاً , والصِّديق صيغة مبالغة في الصدق , وهي درجة عالية من الدين , وهنا يرشد النبي ﷺ أن بلوغ ذلك يكون بالصدق وبتحريه .

قال ﷺ : ((**وإن الرجل يصدق**)) **وفي رواية مسلم** : ((ويتحرَّى الصدق)) أي : يصدق في أقواله وأعماله وأحاديثه ، ويتحرَّى الصِّدق .

((يتحرَّى الصِّدق)) : أي يتوخَّاه ويحرص عليه ويُلازِمُهُ , ويكون محافظاً عليه حتى يُكتَب عند الله صِدِّيقاً , **فهذا فيه تنبيه إلى** : أهمية تدريب النفس وتعويدها وتمرينها ورياضتها على الصدق حتى يكتب العبد عند الله صدِّيقاً .

قال ﷺ : ((**وإياكم والكذب**)) أي : احذروه , فالنبي ﷺ رغّب في الصدق وذكر فوائده , ثم حذّر من الكذب وذكر مخاطره .

((**وإياكم والكذب**)) أي : احذروا الكذب وابتعدوا عنه , وإياكم أن تكونوا من أهله .

قال : ((**وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور**)) فالإنسان إذا ابتُليَ بالكذب هداه كذبه إلى الفجور وهو الانحلال ، وأصل الفجور من الفَجْر , وهو الشَّق , فالفاجر هو الذي شقّ دينه وانحلَّ وانحرف , فالكذب يهدي إلى انحراف الإنسان في دينه , وانحلاله من الدين شيئاً فشيئاً .

قال ﷺ : ((**وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار**)) فهي أمور مترابطة ، كذبٌ يهدي إلى الفجور , وفجورٌ يهدي إلى النار , وأيُّ خير في أمرٍ لا يسوق للإنسان ولا يفضي به إلا إلى النار – والعياذ بالله – .

قال ﷺ : ((**وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا**)) .

((**وإن الرجل ليكذب**)) أي : يداوم على الكذب ويلازمه ويتحرَّاه ويتقصَّده , حتى أن تكون حاله – والعياذ بالله – بأن يكتب عند الله كذَّاباً , فالواجب على عبد الله المؤمن أن يتقي الله عز وجل وأن يحفظ لسانه , وأن يصون فِعَاله , وأن يلازم الصِّدق في أموره كلها , وأن يحافظ عليه ، وأن يحذر من الكذب غاية الحذر .

٣٨٧ – حدَّثنا قُتَيبة قال : حدّثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن أبي مَعْمَر ، عن عبد الله قال : (لا يصلح الكذب في جِدٍّ ولا هَزْل ، ولا أن يَعِدَ أحدَكُمْ ولده شيئاً ثم لا يُنجِزُ له) .

الشرح :

ثم أورد هذا الأثر عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : (**لا يصلح الكذب في جِدٍّ ولا هَزْل**) .

(**لا يصلح الكذب**) : هذا لفظ الترجمة , فالإمام البخاري – رحمه الله تعالى – أخذ لفظ الترجمة من هنا , والمعنى أي لا يصلح أن يكون المسلم كاذباً لا في جدٍ ولا في هزل , لا في جد حديثه ولا في هزل حديثه , ولهذا سبق أن مرّ معنا أن الصحابة قالوا للنبي ﷺ : (إنك تداعبنا !) فماذا قال ﷺ ؟ قال : ((نعم ، ولكن لا أقول إلا حقاً)).

ومرّ معنا أيضاً قول النبي ﷺ : ((ويلٌ له , ويلٌ له , ويلٌ له , الذي يكذب ليضحك الناس)).

فالكذب لا يجوز , ولا يصلح لا في جدٍ ولا في هزل , بعض الناس يطيب له عندما يلقى أصحابه ورفقاءه أن يعطيهم أخباراً كاذبة، ويفعل هذا أحياناً من أجل إضحاكهم , و أحيانا أخرى يفعل ذلك من أجل غمِّهم.

وفي هذا الأثر يقول عبد الله : (**لا يصلح الكذب في جِدٍّ ولا هَزْل**) فسواء كان الإنسان جاداً أو مازحاً , وسواء كان الإنسان غرضه من الكذب أن يضحك زميله أو أن يغمه و يغيظه , فهذا كله حرام و لا يحل ولا يجوز ولا يصلح .

ولا حظ التعبير بقوله هنا : (**لا يصلح**) فهو يعطي معنى ينبغي أن يُلاَحظ وهو : أن الكذب سواء كان على وجه الجد أو على وجه المزاح فإنه لا يترتَّب عليه صلاح , بل لا يترتب عليه إلا الفساد , وكم من العداوات نشبت ومن الخصومات شبَّت بين الإخوان والأصدقاء بسبب كذب لا خير فيه , بل ليس فيه إلا شرٌ وضرر .

قال : (**لا يصلح الكذب في جِدٍّ ولا هَزْل**) ، ثم نبَّه على مسألة دقيقة جداً في الكذب يغفل عنها كثير من الناس , قال : (**ولا أن يَعِدَ أحدَكُمْ ولده شيئاً ثم لا يُنجِزُ له**) فكثير ما يفعل الإنسان مع ولده – أو تفعل الأم ذلك مع ولدها – فالرجل عندما يريد أن يمسك

بالطفل أو يريد أن يداعب الطفل أو يقبله فإنه يمدُّ يده ويقول : " تعال ، تعال أعطيك " ، أو " تعال خذ " وليس معه شيء ، فيأتي هذا الصغير ببراءته لأجل أن يأخذ ما في يد هذا الرجل ، و بعضهم يدخل يده في جيبه ويقول : " تعال خذ " فيأتي يجري , ويظن أنه سيعطيه حلوى ، ثم يخرج يده وليس فيها شيء ويمسكه .. وإذا فعل الرجل مع طفله هذا السلوك مرةً , وفعلته أمه وأخته ، فإن الطفل ينشأ على الكذب , فهو وُلِدَ على الفطرة لا يعرف للكذب طريقاً لكن تنشأة الكذب تأتي من مثل هذه الأمور ، ولهذا جاء النهي عن ذلك , وفي مسند الإمام أحمد أن عبد الله بن عامر ﷺ قال: (قالت لي أمي : تعال أعطيك , والنبي ﷺ يراها) ، فقال : ((ماذا ستعطينه ؟)) أي : ما الذي أعددته له تعطينه إياه عندما قلتِ له : تعال أعطيك ، فقالت : (تمرة) , قال : ((أما أنك لو لم تعطِهِ تمرةً لكتبت عليك كذبة)) ، فهذا أمر يجب أن يُحذر منه ، فلا يصلح الكذب لا في جد ولا في هزل ، ولا يصلح أيضاً مع الصغار بل هو في غاية الخطورة ، بل لا يصلح أيضاً مع الدواب , بعض الناس إذا فرّت منه دابته يجمع ثوبه ويقول لها : " تعالي" , ليُشعرها أن ثوبه فيه عَلَف , ثم إذا وصلت أمسكها .

فالكذب لا يصلح ولا ينبغي للإنسان أن يكون كذاباً ، بل يتحرى الصدق دائماً في جدِّ حديثه و هزله ، ويحذر من الكذب غاية الحذر .

١٨١ – باب الذي يصبر على أذى الناس

٣٨٨– حدَّثنا آدم قال : حدَّثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن يحيى بن وثَّاب ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال : ((المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم ، خير من الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم)) .

الشرح :

قال المصنف – رحمه الله تعالى – : (**باب الذي يصبر على أذى الناس**) .

عقد – رحمه الله – هذه الترجمة ليُبَيِّن أن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم , فهذه الترجمة عقدها لبيان ذلك , وأن الأفضل

للإنسان مخالطة الناس , مع الصبر على أذاهم, فيخالطهم و ينبسط إليهم ، ويعودهم , ويأنس بهم ويأنسون به , ولا تكون حاله مع الناس وحشة ، بل يكون بينه وبينهم معاشرة وملاطفة وانبساط , وإذا حصل له أذى لا يجعل الأذى الذي حصل له من الناس سبباً للعزلة والانقطاع عنهم فخيرٌ له أن يصبر على أذاهم وأن يخالطهم , فهذا خيرٌ له من أن ينعزل ويبقى وحده .

ولكن إذا بلغ الأمر بحال الناس بحيث حصل فساد عام وانحراف , وخَشِيَ على دينه من الفتن وخشيَ على دينه أن يفسد , فاعتزل الناس خوفاً على دينه , فهذه مسألة أخرى .
فالحديث هنا مفاضلة بين مخالطة الناس والصبر على أذاهم , أو عدم مخالطتهم لعدم الصبر على أذاهم ، لكن إذا ترك مخالطتهم – وهو ما يسمى بالعزلة – خوفاً على دينه , فهذا لا بأس به , شريطة أن لا يكون هناك تضييع للفرائض والواجبات , مثل شهود الجُمَع والجماعات , وأداء حقوق العباد الواجبة من برٍ وصلةٍ ونحو ذلك , فإذا كان الغرض من ذلك حفظ الدين , وكانت العزلة لأجل ذلك فلا بأس بها , ولكن هذا لا يُصَار عليه مادام المجتمع فيه خير وفيه صلاح وفيه أهل خير وأهل صلاح , لأن العزلة في مثل هذا الوقت ربما جرّت على الإنسان أموراً لا يحمدها , خاصة إذا كان دخل في هذا من باب الوهن , فبعض الناس بسبب سوء رؤيته لواقع الناس , ربما يظن أن الناس هلكوا جميعاً , وأنهم في جاهلية جهلاء , ولم يبقَ فيهم صاحب خير , ثم يدعو نفسه أو غيره إلى العزلة , وهو مخطئ في نظرته , وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : ((من قال هلك الناس فهو أهلكهم)) .

فالشاهد : أن الإنسان ينبغي أن يكون مخالطاً للناس , منبسطاً إليهم صابراً على أذاهم , وفي الوقت نفسه أن يكون ناصحاً داعياً إلى الخير , آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر مصلحاً بين الناس , يجمع بذلك وجوهاً عظيماً , وخيرات جليلة , لا تحصل له لو أنه اعتزل الناس لعدم الصبر على أذاهم .

وصلى الله وسلم على رسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.